الإهـــــــــــداء

إلى روح الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الجربي ــ رحمه الله ــ في عليائه.

وإلى والدي الكريمين "ربِّ ارحمهما كما ربَّياني صغيرًا".

وإلى رفيقة الدرب ــ زوجتي الغالية ــ.

وإلى ريحانتي البيت "فافة" و"عبد الله".

إلى أساتذتي الأجلاَّء.

وإلى كلِّ من ساعدني في إنجاز هذا العمل.

إلى كل طالب علم يسعى في ذلك إلى نيل رضا الله تبارك وتعالى.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع ...

يحي بن بهون.

obeikandl.com

مُقدّمة

إنّ الحديث عن التّراث حديث عن مجد الأمّة العريق، وحديث عن حضارة أنتجتها عقول أجيالٍ عبر كثير من الاجتهادات الإنسانية الصّائبة والخيّرة، والتي استطاع فيها أبناء الأمّة أن يقدّموا كلّ خدمةٍ جليلةٍ ومكرمةٍ خالدة، ونتاجٍ إنسانيٍّ نافع؛ أسهم في صنعها الذّوق الفنّي الرّفيع.

ولما أدركت فئة خيّرة من أبناء هذه الأمّة حقيقة الحفاظ على التّراث، سارعت إلى إعادته صفحة مشرقة من صفحات الحضارة الإسلامية، ليغترف منه شباب الأمّة الدروس والقيم الخالدة.

لقد امتاز الكثير من العلماء المسلمين الذين شيدوا الحضارة الإسلامية بخاصية فريدة وهي الموسوعية، فلم يكن الواحد منهم عالماً متخصصاً في فنٍ واحدٍ أو في فرعٍ واحدٍ من فروع العلم والمعرفة؛ بل كان موسوعياً يعرف معظم ما انتهى إليه العلم في معظم التخصصات.

وقد كان من نتائج رحلات العلماء في الأمصار العربية والإسلامية توسيع المدارك وانتقال المعارف من مصر إلى آخر، وتأليف الكتب وتبادلها بالنسخ والاقتناء والإهداء، فوصلت أقطار المغرب الكبير أمهات الكتب في شتى فنون المعارف ومختلف العلوم، وذلك بواسطة طلاب العلم الذين زاولوا دراساتهم بالحواضر العلمية في المشرق العربي وبخاصة الأزهر الشريف أو بمكة المكرمة والمدينة المنورة؛ إذ كانت الكتب المخطوطة تصل أقطار المغرب الكبير تباعاً وذلك من خلال عودة العلماء إلى أوطانهم وهم محملين بالكتب التي اقتنوها من المشرق، ومن خلال رحلات الحجّ التي كان يغتنم فيها المولعون الفرصة لاقتناء ما يعثرون عليه من نفائس وذخائر لينقلوها إلى أوطانهم، وكذا مع القوافل التجارية المتنوعة والتي لم تتوقف إلى اليوم وقد تتطور شكلها.

ومن الكتب المخطوطة التي حظيت بالاهتمام ونالت شرف الرحلة والانتقال من مصر المحروسة إلى معظم أقطار المغرب نجد كتاب "حاشية الجربي على مختصر التفتازاني" للشيخ

سليمان بن عبد الرحمن الجربي –نزيل مصر–؛ إذ ونظراً لأهمية الكتاب ومحتواه فقد انتقل إلى معظم أقطار المغرب الكبير، وكان معتمداً في التدريس في كثير من حلقات العلم وخاصة في جربة بتونس، وميزاب بالجزائر، وفاس بالمغرب...؛ وقد حظي الكتاب بالعناية والاهتمام آنئذ لما برز فيه من إحاطة صاحبه بمادة تخصصه من جهة، وغنى مضمونه بروافد من علوم أخرى زادت في قيمته من جهة أخرى، وكذا وقوفه على أهم الأهداف التي أهَمَّت البلاغيين في دراستهم لعلم البلاغة؛ وهي: تحقيق الهدف الديني، والتعليمي، والنقدي؛ أمَّا الهدف الديني فهو: مرتبط بدراسة الإعجاز البياني في القرآن ومحاولة بيانِهِ وتعليلِهِ؛ والهدف التعليمي هو: تعليم الناشئة فنون القول والكتابة بعد شيوع اللَّحن وفساد الألسنة؛ في حين أنّ الهدف النقدي: يتّصلُ بتمييز الكلام الحسن من الرديء، والموازنة بين الأجناس الأدبية شعراً ونثراً، كالقصائد والخطب والرسائل.. وغيرها، والبحث عن أسرارها الجمالية[1].

وفي هذا الكتاب تتجلى معظم هذه الأهداف بصورٍ ونماذج عديدة تُبرز تمكن المؤلف من هذا الفن، واضطلاعه بعلوم أخرى تتصل بمادة الكتاب كعلم المنطق والجدل خصوصاً، وتبحّره فيهما؛ وهو ما يؤكد حقيقة كون البلاغيين في غالبيتهم من المتكلّمين أو من الأصوليين والفقهاء، وأنّ تأثيرهم في علم البلاغة يدخل ضمن حدود التأثّر والتأثير الذي تعرفه الثقافات والعلوم في كلّ العصور.

وأحسب أنّ المؤلف قد سار في كتابه هذا على النحو الذي يُيَسِّر البلاغة ويبسِّطها لطالبيها آنئذٍ، خاصة إذا عرفنا أنه كان يتصدّر حلقَةَ علمٍ يؤمها طلاّب كثيرون من مختلف الأمصار، وقد اقتفى في وضع كتابه منهج "القزويني" في كتابه "تلخيص المفتاح"، وكان يستشهد به كثيراً في الكتاب، وقد لقبّه بــ"المصنِّف"، كما نعت "التفتازاني" بــ"الشَّارح"؛ أما منهج القزويني في كتابه، فيصفه هو بنفسه بالقول: "كان القسم الثالث من "مفتاح العلوم" الذي صنّفه الفاضل العلامة "أبو يعقوب يوسف السَّكاكي" أعظم ما صُنِّف فيه من الكتب

[1] - أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، وكالة المطبوعات الجامعية، الكويت، ط1ـــ 1973، صفحات: 32- 36.

المشهورة نفعاً، لكونه أحسنها ترتيباً، وأتمّها تحريراً، وأكثرها للأصول جمعاً، ولكنّه غير مصونٍ عن الحشو والتطويل والتعقيد، قابلاً للاختصار، مفتقراً إلى الإيضاح والتجريد، ألّفت مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد، ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد، ولم آلُ جَهداً في تحقيقه وتهذيبه، ورتبته ترتيباً أقرب تناولاً من ترتيبه، ولم أبالغ في اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه، وطلباً لتسهيل فهمه على طالبيه"[1].

وفي هذه الفقرة وغيرها ما يدلّ على أنّ قدامى البلاغيين قد عُنوا بقضية أهمّية تيسيِر البلاغة في مصنّفاتهم، وقد تعرّضوا لها كلٌّ بمنهجه الذي ارتضاه لنفسه، ولكنّه التيسير الذي يناسبُ عصرهم ويلبّي حاجات الناس آنئذٍ، وبالأسلوب الذي رأوه مناسباً لأذواقهم؛ وهم سواء وُفِّقوا في ذلك أم لا، فإنّهم كانوا يكتبون استجابةً لما يتطلّبه محيطهم الاجتماعي والثقافي والمعرفي، لذلك ليس من الإنصاف عند أولئك الداعين إلى تيسير البلاغة في العصر الحديث تحميل أولئك القدماء مسؤولية ما آلت إليه البلاغة في عصرهم، ذلك العصر الذي أسموه بعصر الجمود، وقد يكون الهدف من نقدهم للبلاغة القديمة ورجالها الرغبةُ في التجديد والإبداع والتحديث، إلاّ أنّه يسيء كثيراً للتراث العلمي القديم، وينتقص من جهود أولئك الأعلام وكتاباتهم واجتهاداتهم، ومحاولة تفريغها من محتواها؛ وربما تكفي الإشارة هنا إلى أنّ تاريخ علم البلاغة كغيره من العلوم محكوم بالظروف التاريخية التي تحكم كلّ بيئةٍ وعصرٍ، ولاسيّما الظروف المتعلّقة بالأدب وازدهاره، أو تراجعه وانحصاره، وبالتالي فإنّ دراسة محتوى هذا الكتاب لا يجب أن تعزل خارج الزمن الذي وُجدت وعُرفت فيه[2].

[1] - الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2009، ص5.

[2] - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط12، 2003، ص313.

obeikandl.com

وإن جهود هؤلاء العلماء قد حفظت هذا الفن من الاندثار _على الأقل_، إذ أفادت الأقطار المغربية عبر العصور من تلك المؤلفات _على ما فيها_ وأسهمت في إبقاء جذوة اللغة العربية متّقدة في الأذهان، وسائرة في الألسنة والأذكار.

اختيار الموضوع

لقد دلني على هذه المخطوطة الأستاذ الفاضل يحي بوراس، وهو المفهرس المتمرّس بخزانات مخطوطات وادي ميزاب منذ عقود وما يزال، وكان قد اقترح عليَّ سابقاً موضوع مذكرتي للماجستير في تخصّص تحقيق المخطوطات، والتي كانت بعنوان: "ديوان ابن بِحمان" الشّيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي محمّد بن عبد الله بن عبد العزيز الثّميني اليسجني المُصعبي؛ المتوفّى سنة 1272هـ/1817م؛ دراسة وتحقيق؛ إذ أفادني حينها بما حباه الله من علم ودراية في التخصص، ودلّني على النسخ المخطوطة المتناثرة في خزانات وادي ميزاب فجمعتها وعقدت الدراسة.

وبالنسبة لأطروحة الدكتوراه فقد كنت عازماً على تحقيق كتاب في أحد فنون الأدب واللغة العربية؛ لأن تخصص "تحقيق المخطوطات" موجود ضمن فروع قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر، فاتّصلت بأستاذي الفاضل الدّكتور محمّد بن قاسم ناصر بوحجّام؛ وطلبت منه الإشراف على الأطروحة وعرضت عليه الموضوع وخطته؛ فوافق مشكوراً وشجّعني بدوره وكعادته على اقتحام هذا الباب، إذ سبق له وأن أشرف على رسالتي للماجستير؛ ومؤكداً على ضرورة تقصي آثار النسخة الأم أو أقرب النسخ إليها وحصر أماكنها وجمع أكبر عدد منها قدر الإمكان، وراجياً أن يكون هذا العمل إضافة للمكتبة الوطنية والعربية، وأن يعرّف أكثر بإسهامات علمائنا المغاربة في خدمة اللغة العربية طيلة قرون خلت.

وقد عزمت أوّل الأمر على تحقيق أحد الكتابين: "ربيع البديع" أو "بيان البيان"؛ وهما من تأليف الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش الشهير بـــ"قطب الأئمة"، لكن المقترحين رُفضا من

obeikandi.com

قِبل المجلس العلمي للكلية وذلك لقرب المؤلف من عصرنا الحاضر، كما بلغني لاحقاً بأنّ بعض المشارقة في عُمان بصدد تحقيق الكتابين وقد يطبعان قريباً.

وخلال فترة انتظار تقرير الخبرة وردّ المجلس العلمي للكلية؛ كنت أبحث عن عناوين لمخطوطات أدبية أخرى للتحقيق، وأفكر بخاصة في مقترح الأستاذ يحي بوراس، وهو تحقيق "حاشية سليمان الجربي على مختصر التفتازاني"، فطلبت منه إحدى النسخ المحفوظة من هذه الحاشية والمحفوظة في بعض خزانات ميزاب فمكّنني منها.

ثم أفادني لاحقاً، بمكان وجود النسخ المخطوطــة الأخــرى في خزانــات ميــزاب، وبالمعلومات التوثيقية والوصفية عنها، كما دلّني على اسم المؤلف وهو سـليمان الجــربي في كتاب "توشيح الديباج" لبدر الدين القرافي، وبه رجّح فرضية ذكره في مؤلفــات مشــرقية أخرى وبخاصة المصرية منها؛ وما شجَّعني أكثر هو الرغبة في إبراز هذا العلــم الــذي ظــلّ مغموراً ولم تظهر نسخٌ أخرى من مؤلفاته المخطوطة مع استمرار البحث والتنقيب عنــها في المكتبات العربية والغربية، وقد كنت خلال طول فترة البحث متفائلاً بإيجاد نسخٍ أخرى مــن حاشية الجربي في أقطار المشرق العربي، وهو ما تمَّ بالفعل إذ بلغ مجموع ما عثــرت عليــه إلى قبيل انتهاء آجال فترة البحث والدراسة **18** نسخة.

وعقب اعتماد المشروع من طرف المجلس العلمي لكلية الآداب بجامعة الجزائر، شرعت مباشرة في البحث المعمق في الفهارس المتوفرة بين يــديّ وعلــى الشــابكة (الانترنيــت)، وبالمراسلات مشرقاً ومغرباً بحثاً عن نسخ أخرى لهذه الحاشية وغيرها مــن تــآليف أخــرى للجربي إن وُجدت.

وفي أثناء البحث والتنقيب شرعت في نسخ الحاشية من ن(أ) والتي قدمتها على ســائر النسخ نظراً لأهميتها وكونها منقولة من النسخة الأم مباشرة، كما قابلتها بالنسختين الأخرين الموجودتين بميزاب أيضاً وهما: ن(س) ون(ث)، وقد تميّزت ن(ث) باحتوائها علــى تعــاليق

obeikandl.com

وطُرر بخط الشيخ عبد العزيز الثميني اليسجني؛ وهو ما يفيد مقابلته إيَّاها مع نسخ أخــرى، والراجح وبعد مقارنة الخطوط أنه قد قابلها بالنسخة (أ).

ومع مرور الأيام بدأت النسخ المخطوطة الأخرى تتكشف لي شيئاً فشــيئاً، فصــرت أطلبها من مصادرها؛ فأُهدِيَ لي بعضها، كحال النسخ الثلاث في الخزانة الحســنية بالربــاط بالمغرب الشقيق؛ فقد أرسلها لي الدكتور أحمد شوقي بنبين مدير الخزانة، بعد أن دلّني عليهــا مشكوراً الدكتور مصطفى طوبي المحترم؛ وأرسل لي الدكتور يحي بكلي المحاضر بجامعة طيبــة نسخة مكتبة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وفيه من النسخ ما ســافرت لأجلــه ودفعت مقابله تكاليف التصوير الغالية كحال نسخة المكتبة الوطنية بتونس، ونسخة مكتبــة الإسكندرية بمصر، ومنها ما تعذر الحصول عليه لانقطاع التواصل مع أصحابها كحال نسخة مركز نجيبويه بفلندا، ونسخة مكتبة كوبرلي بتركيا، أو لغلاء تكاليف التصوير كحال نســخ مركز جمعه الماجد بِدُبي.

أمَّا عنوان الحاشية فهو مستخرج من طُغراء النسخ المخطوطة، فبعد أن جمعت كــلَّ النسخ المتوافرة بين يدي وقلّبت عناوينها فإذا هي متباينة ومختلفة، إذ لا تكاد تتفق نســختان على عنوان واحد، خاصة إذا عرفنا بأنَّ النسخة (أ) المنقولة عن نسخة المؤلف مخرومة الأول؛ ولعل العنوان كان مثبتاً بها ثم ضاع؛ هذا ولم تؤكد أيّ نسخة مما نحوز بأنَّ العنوان الذي عليها من وضع المؤلف، فاقترحت عليها أقرب العناوين وهو: "حاشية الشيخ سليمان الجربي علــى مختصر المعاني"؛ والذي جاء في طُغراء بعض النسخ، وقد يكون هو الأقرب _في نظري_ لِمَــا يحمله من دلالات كثيرة؛ أهمها: شهرة هذه الحاشية بهذا الاسم، فقد طرّز الطُّغــراء الــتي في أول ن(ك) قول الناسخ: "حاشية الجربي على مختصر المعاني"، وفي نسختين لمركز جمعه الماجد: "حاشية المختصر لمولانا سليمان بن عبد الرحمن بن سليمان المغربي الجربي"؛ ولعــل الحاشــية كانت شهيرة بهذا الاسم: "حاشية الجربي على مختصر المعاني"؛ وذلك لَمَّا كانت متداولــة في عصر المؤلف أو بين طلاّبه _على الأقل_، ثم انطمس عنوانها لاحقاً؛ وقد وردت هذه التسمية

أيضاً في بعض فهارس المخطوطات[1] للتميز بينها وبين حواشي أخرى عديدة علـــى مختصـــر المعاني.

ولعله لما انطمس عنوان الحاشية وطوى النسيان أمر مؤلّفها، صـــار يشـــار إليهـــا في الفهارس التي ذكرتها بـــ: "حاشية على المختصر للتفتازاني"، ثم يذكر مؤلفها بعد ذلك، وقد يكون الابتداء بالعنوان من باب حصر موضوع الكتاب ضمن كُتب علم البلاغة، وربما كان المؤلف يُمضي أعماله بـــ" سليمان الجربي" نسبة إلى مسقط رأسه فاشتهرت حاشيته باسمـــه، وهذا أمرٌ واردٌ جداً، إذ جرت العادة قديماً أن يكتب المؤلف اسم بلده مرفقاً باسمه وذلك إذا كان خارج وطنه، حتى يتميز عن أقرانه ويُنسب إلى بلده ومسقط رأسه، تجنباً للخلط الـــذي قد يقع بين الكتب عند تشابه الفنون.

وقد فضلت هذا العنوان لأنه يحفظ اسم المؤلف، فيتميَّز به عن غـــيره ممـــن اشـــتغلوا بتأليف الحواشي على مختصر المعاني وهم كُثُر؛ إذ يسبق الجربي أزيد من عشرة مؤلفين وضعوا حواشي على مختصر المعاني، كما لحق به أزيد من عشرين مؤلّفاً آخر حذوا حذوه[2]؛ لهذا مـــا زلت آمل أن تتبوأ هذه الحاشية مكانتها بين حواشي المختصر الأخرى، وتنال حظّهـــا مـــن الدراسة والتعمق مثلما نالته حواشي: الدسوقي، وملّاً زاده، والعليمي... وغيرها.

إنّ لكّل بحث ـمهما صغُرـ فائدته العلميَّة التي لا تحتاج إلى مُبرّر، ولكنّه لا مانع مـــن ذكر بعض الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع.

فقد كنت ـوأنا لا زلتـ أتأمل في حواشي المختصر العديدة، وأتطلع إلى التعـــرّف علـــى جهود العلماء المغاربة في هذا المضمار، يزيد بي الشّوق إلى البحث أكثر والغوص أعمـــق في التّراث المخطوط كلّما صادفت أسماء من مثل: المغربي والتلمساني والفاســـي والـــزواوي...،

[1] – حاشية الجربي، فهرس المكتبة الأزهرية، مصر، فهرس علم البلاغة، ص 364.

[2] – عبد الله محمد الحبشي، جامع الشروح والحواشي (معجم شاهد لأسماء الكتب المشروحة في التراث الإسلامي وبيان شروحها)، طبع المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص622- 643.

فيشدّني الكتاب ذو المسحة المغربية، ولا أدعه حتى أتصــفحه وأعــرف مؤلفــه وعصــره وموضوعه؛ وبخاصة إن كان في فنٍّ من فنون اللغة العربية؛ ولَمَّا كُنت مــن أبنــاء الشــمال الإفريقي أو المغرب الكبير، وأنتسب في القطر الجزائري إلى منطقة غنيّــة بتراثهــا حاضِــرة بتاريخها وعلمائها وأدبائهــا؛ وهي منطقة وادي مزاب في شمال صحراء الجزائر، والتي تحــوز رصيداً هاماً من المخطوطات في شتى فنون العلم، يدعوني ويدعو غيري للتقرب منها بالدراسة والتحقيق، واستخراج دررها وجواهرها بعد نفض غبار السنين عنها.

وحين عُرض عليّ هذا الكتاب وقرأته، شدَّتني فيه آراؤه وتحليلاته المنطقية، وحاولت أن أربط بينها وبين بعض آراء الفكر الإباضي الذي يتقاطع مع الفكر المعتــزلي في كونهمــا مدرستين عقليتين، تتفقان في بعض القضايا الكلامية التي اشتغل بها ثلة من اللغويين والبلاغين انطلاقاً من دراسة الإعجاز البياني في القرآن الكريم ومحاولة بيانه وتعليله.

كما شدّتني أفكار أخرى أهمها: رحلة هذا الكتاب النفيس الذي سافر إلى معظم الأقطار الإسلامية العربية والعجمية وذلك سنوات قليلة بعد تأليفه؛ وملاحظات أخرى عن طرق جلب المغاربة عموماً والمزابيين خصوصاً لمثل هذه الكتب النفيسة والغالية الثمن في عصر تأليفها؛ خذ مثلاً لذلك شرح كتاب "شرح تلخيص المفتاح المطوّل" لسعد الدين مسعود التفتازاني (ت: 792هـــ) إذ يعد هذا المخطوط النفيس أحد أقدم الكتب التي وصلت وادي مزاب في عهد تأليفه، فهذه المخطوطة منسوخة على الأرجح ببلاد فارس، بدليل الكتابات التي فيها باللغة الفارسية، أمَّا عن معلومات النسخ فنقرأ: "...تَمَّ الكتاب بعون الله الوهاب، على يد العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة ربه اللطيف، خليل بن صحاح إسرائيل علي (...)، في يوم الخميس في وقت الضحى، ثامن عشر من شهر رمضان المعظم، سنة اثنين

وتسعين وسبعمائة" (792هــ)؛ وبذلك تكتسب هذه النسخة أهمية من حيث أنها كتبت بُعيد وفاة التفتازاني بأشهُر[1].

هذه التساؤلات وغيرها وإن لم نجد لها جواباً مقنعاً إلى اليوم، فإنّ واقع الحال يدعونا بداية للاعتزاز بهذا الموروث الحضاري، ثم العمل بجدّ على صيانته والعناية به، وذلك بالتقرب من مخطوطات المنطقة أكثَرَ وأكثَرَ وفَضِّ مكنوناتها، وهي التي لطالما تاقت إلى أيدي الباحثين ليفضّوا مكنوناتها، ويخرجوا نفائسها لترى النور، وتنال نصيبها من الدراسة والتحقيق، وبذلك تتحقق غاية مؤلفيها من وضعها.

منهجيتي في البحث

بعد طول بحثٍ وتنقيبٍ، وسفرٍ وتغريبٍ، استطعت أن أجمع نسخاً أخرى من حاشـــية الجربي، وبالرغم من أهميتها في عملية التحقيق إلاّ أنها لم تكن لتسبق في الترتيب أولّ نســخة حصَّلتها وهي بخزانة دار التلاميذ "إروان" بغرداية من وادي ميزاب؛ ومن هنا تكون ن(أ) هي الأصل لأنها منقولة من نسخة المؤلف مباشرة، وتليها النسخ الأخرى كما رتَّبتها في مكانها من الدراسة، وقد جاءت لتدعّم الأصل وتسنده؛ وبتضافرها جميعاً تكون دليلاً على صحّة نســبة الكتاب إلى صاحبه، فتشابه الخطوط، ودقّــة التّواريخ، وصــحة الأعــلام المــذكورين في الكتاب، بالإضافة إلى أسلوب المؤلف في التحليل المنطقي والمطّردِ في نقد المســائل الكلاميــة والقضايا المنطقية... إلى غير ذلك من الشواهد والأدلة؛ جميعه يعزّز ما ذهبنا إليه.

ورغم أنّ العثور على الأصل المنقول من نسخة المؤلف قد رفع من معنوياتي وشــجعني على عقد الدراسة والتحقيق، إلاّ أنّ عناء البحث عن النسخ الأخرى وتجميعها قــد أضــناني كثيراً، كما أرهقتني عملية المقابلة بين النسخ وتفكيك ما غمُضَ وتمحَّــل مــن خطوطهــا، وحسبي من عملي هذا أن يكون من الجودة فيه ما يُلاقي الاستحسان فيُنسيني ما لاقيته فيــه

[1] – مصطفى حمودة، تحقيق شرح تلخيص المفتاح، ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1999، المقدمة.

obeikandi.com

من التعب والسهر ومن الاغتراب والسفر في جمع النسخ والبحث عن آثار أخرى للجــربي، فقد سافرت إلى ليبيا وتونس وجربة ومصر والمغرب وسوريا والأردن؛ في حين تعــذّر علــيَّ السفر إلى الرّياض واسطنبول وطهران وبغداد؛ وإن كان (البريد الإلكتروني) في عصرنا هذا يغني عن عقد الكثير من الأسفار والرحلات البعيدة، ويســمح بنقــل الملفــات والكتــب المخطوطة في دقائق معدودات، إلاّ أن فوائد الرحلة ومنها لقاء المختصــين وذوي الاهتمــام المشترك، وزيارة المكتبات والجامعات ودور البحث العلمي... من الأهمية بمكان؛ ومــتى مــا تهيأت الأسباب والظروف المواتية لذلك فلا يمكن الاستغناء عنها.

وقد سافرت إلى الأردن في إطار منحة التفرغ للبحث، وقضيت هنالك خمســة عشــر شهراً أفادتني كثيراً والحمد لله، إذ وجدت فيها الجو الهادئ الذي كنت أنشده منــذ مــدة طويلة، وفي رحاب جامعة اليرموك الزاهرة بمحافظة إربد شمال الأردن حظيت بمتابعة المشرف الخارجي على الأطروحة؛ الدكتور الفاضل محمود درابسة، وهو أستاذ محاضر بقســم اللغــة العربية وآدابها، ذو باعٍ واهتمام بالتراث، فقد اشتغل قبل عقود رفقة مجموعة من الأســاتذة الأردنيين بإعداد فهارس ببليوغرافية للمخطوطــات العربيــة في مكتبــات العــالم العــربي والإسلامي، وقد أنجز فهرساً خاصاً للمصاحف الشريفة المخطوطة في مكتبات العالم، فأفــادني مشكوراً بتوجيهاته القيمة ونصائحه الطيبة وبتشجيعه المتواصل _بارك الله في أوقاته_.

وقد شرعتُ في تحقيق الكتاب معتمداً _كما أسلفت_ على النّســخة الأم المــذكورة، وبعد أن ذلَّلَ لي مشكورين بعض الإخوان الكثير من العقبات، بتصــوير النّســخ وتصــفّح المخطوطات والفهارس، ومساعدتي في قراءة بعض النّصوص المُتمحِّلَة، ونســبة الخطــوط إلى أصحابها وأعني بذلك شكري وتقديري للأستاذ الفاضل يحي بوراس، وغيره مــن الأصــفياء والأوفياء.

وقد رأيت أن أجعل عملي على قسمين رئيسيين وهما:

القسم الأوّل

وهو فصل الدراسة؛ وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، تحوي تحتها مجموعة من العناوين؛ المبحث الأول وفيه: نظرة على أوضاع مصر وتونس خلال القرن العاشر الهجري؛ السادس عشر الميلادي، ثم الشيخ سليمان الجربي نسبه ومولده، ثم نشأته ووفاته، وأسفاره ورحلاته، أمَّا المبحث الثاني ففيه: مصادر ثقافته وعوامل نبوغه، مشائخه، تكوينه الذاتي، مكانته العلمية، وتطلعه إلى التجديد ثم علاقته بعلماء عصره، المبحث الثالث؛ وفيه: جهوده في التعليم، نشاطه في التدريس بمصر، وتلاميذه فيها، ثم نشاطه العلمي بتونس وتلاميذه فيها، ثم بسط في مسألة مذهب الشيخ سليمان الجربي، ثم آثاره العلمية، يليه وصف للنسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق، والنسخ الأخرى في مكتبات العالم الإسلامي، ثم قراءة في تملّكات ووقفيات النسخ المخطوطة، ثم أبرز الخصائص الفنية في حاشية الجربي، وفي الأخير جدول بالرّموز المستعملة في التّحقيق.

القسم الثّاني

التّحقيق؛ وقد سلكت فيه الطرّق الفنّية والمنهجية العلمية خاصّة ما يتعلق بتحقيق النّصوص ونشرها، فأخرجت النصّ نقلاً محقّقاً من المخطوط إلى المبيضة قدر المستطاع دون إضافة أيّ شيء على المتن، وتركت كلّ ملاحظة أو تعليق مُهمٍّ إلى الهامش، ولم أضف إلاّ بعض العناوين المكملة مستعيناً في ذلك بالشروح الأخرى على المختصر، وقد وضعتها بين قوسين وأشرت إلى ذلك في الهوامش، ليظهر النصّ بذلك مقارباً لما تركه عليه مؤلّفه آخر مرّة، ولأحقق الأمانة العلمية المنشودة؛ هذا ولم أكثر من التعاليق على الهوامش وفضلت التركيز أساساً على المقابلة بين النسخ، وهو المراد من تحقيق النص؛ أي إبرازه أقرب ما يكون إلى آخر مرة تركه عليه مؤلفه؛ لأنّ اختلاف النَّسخ يبيّن لنا الصحيح الذي ينبغي أن يكون في النص، وهذا مذهب معظم المهتمين بهذا الفن[1].

---

[1]- صلاح الدين المنجّد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط7، 1987، ص24.

وقد أبرزت مصادر الحاشية والمذكورة من طرف المؤلف على الهوامش، خاصة الكتب الــتي اعتمد عليها في التأليف أو النقول التي علّق عليها، كما عرَّفت بمعظم الأعلام الــذين أتــى ذكرهم في الكتاب إلاّ ما كان منهم مغموراً لم أستطع الوصول إليه، وكذلك الأمر بالنّســبة للأماكن؛ وأشير هنا إلى أنّ البحث عن بعض الأعلام استغرق وقتاً طويلاً وجهداً كــبيراً لأنّ منهم ممن لم يأت ذكره في المصادر والمراجع، فاستعنت ببعض الباحثين المتخصصين بــالأعلام والأنساب، وقد اهتديت والحمد لله إلى التّعريف بأغلبهم.

كما شرحت ما غمض من الألفاظ معتمداً على أمهات المعاجم، وضبطت قبل ذلك النّصوص القرآنية والأحاديث الشريفة والأبيات الشعرية وكل ما غمض من الألفاظ والعبارات التي لم يستوجب ضبطها لدفع اللبس أو الخطأ في القراءة، كما خرّجت الآيات والأحاديث والأشعار من مظانّها في المصادر والمراجع مشيراً ومعلّقاً في ذات الوقت على الاقتباسات، وقد حافظت أيضاً على تسلسل مادة الكتاب، خاصة وأنَّ جلّ النسخ تميزت بمحافظتها على نظام التعقيبة، كما نظّمت بداية الفقرات ونهايتها قدر المستطاع، وأشرت إلى وجه المخطوطة بــالحرف (و) وإلى ظهرها بالحرف (ظ) وذلك بما يوافق ن(أ) التي اعتمدتها أو أصلاً، حتى يستطيع القــارئ استيعاب النص.

وقد سعيت جهدي إلى استثمار ما اطلعت عليه من فنيات التحقيق من خلال قراءتي لمجموعة معتبرة من كتب "فن تحقيق النصوص المخطوطة"، بدءاً بكتاب "فن تحقيق النّصوص ونشرها" لمحمّد عبد السّلام هارون، وغيره من الكتب المهمة في هذا الفن، كما أنني حافظت على رسم بعض الكلمات التي جاءت في ن(أ) والتي اعتمدتها أصلاً، إذ اســتعمل الناســخ عبــارات واختصارات على غرار مؤلفي الحواشي، وقد أشرت إلى معانيها في الهوامش بعد أن تأكدت من دلالاتها بمقارنة النسخ الأخرى، وحفظي لهذا الرسم جاء مراعــاة للأمانــة العلميــة في التحقيق؛ وقد أنهيت الدراسة بملحقٍ يحوي عرضاً لنماذج مــن النســخ المخطوطــة الأوراق الأولى والأخيرة، وفي الختام فهارس الموضوعات، والآيات القرآنية والأحاديــث، والأعــلام

والأماكن، والأبيات الشعرية، ومصادر المؤلف، وفهرسا للمقابلات والمراسلات، ثم المصـــادر والمراجع.

الرّموز المستعملة ودلالتها الاصطلاحية:

استعمل المؤلف رموزاً مختصرة متنوعة في كتابه، وذلك كعادة مؤلفي الحواشي والكتب المتخصصة، وقد وضعها ـفيما يبدوـ خشية الإطالة[1]، إذ استعمل الناسخ في الأصل العبارات الآتية: "إلخ"، "ح"، "المصــــ"، "الشَّــ"؛ اختصاراً لهذه الألفاظ: "إلى آخره"، "حينئذ"، "المصنِّف"، "الشَّارح" بهذا الترتيب، وقد أشرت إلى ذلك في الهوامش بعد أن تأكدت من معانيها ودلالاتها بمقارنة النسخ الأخرى.

وقد أدرجت أيضاً في هوامش الكتاب بعض الطُّرر والتعاليق التي وردت في هوامش بعض النسخ، خاصة ما كان منها يحمل توضيحات بخط الناسخ نفسه أو بخطوط أخرى مغايرة له، ما قد يساعد في التعرف على أهمية تلك النسخ وجهود العلماء الذين اطلعوا عليها أو صحّحوها وحتى الذين درّسوا بها...، ففي هامش ن(أ) و(ف) نجد الحرف (ط) والذي يعني: طُرَّة؛ ومن خلال مقارنة الخطوط توصلت بمعية الأستاذ يحي بوراس إلى التعرّف على خط الشيخ عبد العزيز الثميني صاحب "كتاب النيل"، وذلك من خلال طُرره وتعليقاته على حواشي ن(ث) والتي قابلها فيما يبدو بالنسخة (أ) على الأقل، كما تتميز معظم النسخ بوجود لفظة (صح) في أكثر من هامش؛ وهو ما يدلّ على أنَّ تلك النسخة قد صُحِّحت أو قُوبلت بنسخة أو عدة نسخ أخرى.

وكما لاحظت على هوامش بعض النسخ وجود لفظة (قف)، وهو ما يدل على أنَّ أحد المُلاّك أو المطلعين على تلك النسخة كان شيخاً أو أستاذاً، وربما قد درّس بها؛ إذ أنَّ هذه

---

1 – محمد التنوخي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1995، ص151.

اللفظة توضع في العادة من طرف الشيخ أو أحد طلاّبه بأمر منه؛ كعلامة على توقف الدرس في تلك الحصة، أو بياناً لموضع الانطلاق في الدرس الذي يليه.

وقد استعملت في التحقيق مجموعة من الرموز الشهيرة في فن تحقيق النصوص ونشرها، إذ بالإضافة إلى الحروف المستعملة كرموز للنسخ المعتمدة في التحقيق؛ لابد من اختصار بعض العبارات التقنية وهي:

المج:	المجموع	س:	سطر
نا:	النّاسخ	خ:	خط
ت.ن:	تاريخ النّسخ	ج:	جمع / جزء
م.ن:	مكان النّسخ	ق:	ورقة
د.نا	دون ناسخ	م:	مقاس
د.ت.ن	دون تاريخ نسخ	و:	وجه
* :	ملاحظة	ظ:	ظهر
مخ:	مخطوط	م.أ:	مبتور الأوّل
[كذا]:	هكذا في الأصل	م.آ:	مبتور الآخر
ح.ح:	حالة الحفظ	تح:	تحقيق
ص:	صفحة	تر:	ترجمة

747/12 : الإحالات في الهوامش الرقم الأول الجزء والثاني الصفحة

الأرقام بين قوسين في المتن (**1**) (**2**) (**3**) من وضعي.

العناوين الفرعية بين قوسين في المتن (..............) من وضعي.

التّواريخ الميلادية بين قوسين في المتن (......م) من وضعي.

openkandil.com